فسوف تعلمون وعيد أجمله وفصّله بقوله لأقطعن وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم من خلاف
من كل شق طرفا وقيل إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون إنا إلى ربنا منقلبون فيه أوجه أن يريد إنا لا نبالي
بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك وننقلب إلى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع
والصلب وأن نجيء جميعا نحن وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا وإنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله فما
تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا إلا أن آمنا وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات ربنا أرادوا وما تعيب
منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم أفرغ علينا صبرا أي هب لنا
صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن بعض السلف إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحته
أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا
وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم
وكان ذلك مؤديا إلى ما دعوهم فسادا وإلى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك وهو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء
نحو قول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء والنصب بإضمار أن تقديره أيكون منك
ترك موسى ويكون تركه إياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك عطفا على أتذر بمعنى أتذره ويذرك أي يطلق له ذلك أو يكون مستأنفا
أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا ويذرك كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل إن تذره
وقرأ أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك وإلاهتك أي عبادتك وروي أنهم
قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك
وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى
ولذلك قال أنا ربكم الأعلى سنقتل أبناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه
من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو
المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر
بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم
ويعدهم النصر عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم فإن قلت لم أخليت
هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله
قال الملأ من قوم فرعون وقوله إن الأرض لله يجوز أن يكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا
الأرض وأن يكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة إن المرء بأصغريه أراد بالمرء الجنس وغرضه أن
يتناوله تناولا أوليا والعاقبة للمتقين بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرئ
والعاقبة للمتقين بالنصب عطفا على اسم إن وهو الأرض أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون
قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدمة
والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم أن يهلك عدوكم تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون
واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على
حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد
فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بالقحط والسنة من الأسماء
الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس أما السنون فكانت لباديتهم
وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكانت في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة لعلهم يذكرون

فيتنبهوا



فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق
أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو
جوع أو حمى لما ادعى الربوبية فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه أي هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وإن تصبهم سيئة من ضيقة وجدب
يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءمون ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن
وتنكير السيئة قلت لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع
إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهلا عددت أيام الرخاء ألا إنما طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم
عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله
قل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لأجله
ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيرهم عند
الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما
المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى تخرج أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت وإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا
لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه
قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فإن قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى أيما شيء
تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان إلى مهما إلا أن
أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها
ويحسب مهما بمعنى متى ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر
مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر
في كتاب سيبويه فإن قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما
سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل
قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أن يخرج
أحد من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت
بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدري وهو أول عذاب
وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا
فرفع عنهم فما آمنوا فنبتت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد
فأكلت عامة زروعهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل
منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم
القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث
وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه